

أضواء البيان

@ 9 @ والضمير في قوله { أَنْ اِقْذِرْ فِيهِ } راجع إلى موسى بلا خلاف . وأما الضمير في قوله { فَاقْذِرْ فِيهِ فِي الْيَمِّ } وقوله { فَلَا يُدْلِقُهُ } فقليل : راجع إلى التابوت . والصواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت ، لأن تفريق الضمائر غير حسن ، وقوله { يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهِ } هو فرعون ، وصيغة الأمر في قوله { فَلَا يُدْلِقُهُ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ } فيها وجهان معروفان عند العلماء : . أحدهما أن صيغة الأمر معناها الخبر ، قال أبو حيان في البحر المحيط : و { فَلَا يُدْلِقُهُ } أمر معناه الخبر ، وجاء بصيغة الأمر مبالغة ، إذا الأمر أقطع الأفعال وأوجبها . . الوجه الثاني أن صيغة الأمر في قوله { فَلَا يُدْلِقُهُ } أريد بها الأمر الكوفي القدري ، كقوله { إِنَّ نَاسًا أَمْرُهُ إِذْ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فالبحر لا بد أن يلقيه بالساحل ، لأن [] أمره بذلك كوفاً وقدرًا . وقد قدمنا ما يشبه هذين الوجهين في الكلام على قوله تعالى : { فَلَا يَمْدُدُ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا } .

وما ذكره جل وعلا في هذه الآيات أوضحه في غير هذا الموضع ، كقوله في (القصص) : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مَرْيَمَ أَنْ ارْمِيْهِ فَعَرَّضْنَاهُ لِضُلُوعِهِ فَأَلْقَتْهُ غَالِيَةً } فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَآدُّوهُ } وَلَيَكُونَنَّ لَهُمْ عَدُوٌّ وَآلٌ وَحَزَنًا } وقد بين تعالى شدة جزع أمه عليه لما ألقته في البحر ، وألقاه اليم بالساحل ، وأخذه عدوه فرعون في قوله تعالى : { وَأَصْحَابُ } .